JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ
العدد التاسع والعشرون
(٢٧٣) (٢٨٦)

الرثاء الحسيني في شعر أبي الخصال الأندلسي قراءة أسلوبية

م. م طعمه عبد عودة
وزارة التربية / الكلية التربوية المفتوحة / مركز واسط الدراسي
mont67368@gmail.com

المستخلص:

إنَّ فاجعة كربلاء كانت ولا تزال محط أنظار الأدباء والمعنيين بهذا الشأن، فلقد تناولتها بالدراسة الكثير من أقلام الأحرار في العالم، فهي بحرٌ لا ينضب، وفي دراستنا هذه سنتناول الأسلوب الذي أتبعه شاعرنا المخصوص بالدراسة في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام)، والعواطف الجياشة التي بثها في حزنه على وقع تلك المأساة، إذ نجد قوة الشعور وعمق الإحساس بجلال وعظمة هذا الخطب، ونطاق تأثيره في النفس، وكانت هذه المرثيات بما فيها من معانٍ وأفكار وصور تتناغم مع الجو النفسي الذي عاشه الشاعر، وتندمج فيه، مما يؤدي في النهاية إلى اندماج الأفكار مع المعاني وتَعاضُد الشكل مع المضمون، إذ تهدف الدراسة إلى بيان الأساليب البلاغية، والأسلوبية التي استعملها الشاعر فأضفت على النص قيماً جمالية.

الكلمات المفتاحية: الرثاء الحسيني، ابن أبي الخصال، القيم الفكرية.

THE HUSAYNI ELEGY IN THE POETRY OF ABU AL-KHISSAL AL-ANDALUSI: A STYLISTIC READING

Assistant Lecturer / Tu'mah Abd Ouda
Ministry of Education / Open Educational College / Wasit Study Center
mont67368@gmail.com

Abstract:

The tragedy of Karbala has been and continues to be the focus of the attention of the literature and those concerned. It has been studied by many of the world's free writers. It is an inexhaustible sea. In this study, we will address the way our poet dedicated to studying in the lamentation of Imam Hussein (Peace be upon him), and the aggressive emotions he sent in his grief at the tragedy, Where we find the strength of feeling and the depth of the sense of majesty and greatness of these speeches and the scope of its

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

influence on the soul, and these elegies, including meanings, ideas and images, were in harmony with the psychological state of the poet and integrate into it, ultimately integrating ideas with meanings and mutually reinforcing form with content in which the study aims to demonstrate the rhetorical methods used by the poet of tandem that gave the text an aesthetic value.

Keywords: Husseini Lamentation, ibn Abu Al-Khissal, Intellectual Values

المقدمة:

الحمد لله الذي لا يُرد له سائل، وتعلق بحبله كلُّ آمل، وآثر بعدله العالم على الجاهل، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين محمد وعلى آلة الطيبين الطاهرين، وبعد.

يمثل الشعر وجهاً من وجوه التعبير الفني عن المضامين الروحية للأمة، ويعد الرثاء أبرز أغراض الشعر العربي وأجلّها قدراً، ولا سيما الذي ارتبط بشخصيات تاريخية إسلامية ذات أثر كبير ومؤثر في النفوس روحياً وثقافياً، ولعل أبرز تلك الشخصيات وألمعها وألصقها بمشروع الحرية والإصلاح والإنجاز الرسالي للإسلام والإنسانية، هو الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فآثرنا أن يكون عنوان البحث (الرثاء الحسيني في شعر أبي خصال الأندلسي قراءة أسلوبية) لتصوير الشعراء تلك الفاجعة ؛ لما يمنحهم الشعر من أدوات تمكنهم من نقل تلك الحادثة بكل تفاصيلها، والتعبير عنها، فهم ينطلقون في نظم المراثي وبكاء الراحلين معرضين لوصف الفاجعة، ومصورين حال المتلقي وكأنّه حاضر بينهم، إذ أحدثت واقعة الطف منعطفاً خطيراً في مجرى الحياة السياسية والأدبية، إذ كان لمقتل الإمام الحسين (عليه السلام) بهذه الطريقة المروعة أثر واضح وجلي في حياة المسلمين بعامة والشعراء بخاصة بما عُرف عنهم من رهافة الحس وتفاعلهم مع الحدث.

تكمن أهمية البحث في كونه يلقي الضوء على قضية بالغة الأهمية ألا وهي مأساة الإسلام والمسلمين عامةً والشيعة خاصةً، وهي استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، والتي لم تغب عن الأندلس وعن شاعرنا المخصوص بالدراسة، وكان لها صدى كبير وواسع من خلال إقامة المآتم الحسينية فيها، وكذلك تبيان أن التشيع في الأندلس قد عبر عن نفسه بشكل واضح وصريح من خلال الالتزام بالمعتقدات التي يؤمن بها
الشيعي في كل مكان وزمان.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

لقد اعتمدت الدراسة في هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي مع الاستئناس بالحياة السياسية والجوانب التاريخية لتحليل القصائد الشعرية وبعض الاشعار الغامضة.

أما الخطة التي اتبعناها في البحث فقد جاءت بمقدمة، ومبحث أول تطرقنا فيه إلى حياة الشاعر وأهم آثاره وكذلك التعريف بالرثاء في اللغة والاصطلاح، أما المبحث الثاني فهو الأساس في هذه الدراسة، إذ تناولنا فيها دراسة شعره من خلال القصيدتين اللتين كتبهما في رثاء الإمام الحسين (عليه السلام).

المبحث الأول: تعريف الرثاء

يعد الرثاء من الأغراض الشعرية القريبة إلى النفس الإنسانية والمؤثرة فيها، فهو يعانق الإحساس والعاطفة التي تتوقد في أعماقها، فالكثير من الشعراء بكوا على فقدان الأهل والأحباب والأصحاب، وهو بكاء ممتد في عمق التاريخ منذ أن خلق الإنسان على هذه الأرض " وإذا كان الشعراء أشد الناس انفعالاً وتأثراً وطالما أنهم لا يختلفون عن غيرهم بالنسبة لمسألة الموت الذي يسلخ عنهم بعض الأعزاء، فإنهم وقفوا أمام هذه المأساة الإنسانية ورثوا أحباءهم وأقاربهم وكل من كانوا يهتمون لأمره" (سراج الدين محمد: د ت: ٥) فالرثاء فن أصيل نابع من أعماق النفس ومعبر عن لحظات الفراق، متجه إلى القلوب قبل العقول، ليجسد الانفعالات الوجدانية، مّما قربه إلى النفس، فكثُر فيه الصدق وقلت فيه الصَّنعة والتكلف(ينظر الجبوري يحيى :١٩٩٣: ١٧٨)، ولكل أمةٍ مراثيها، والأمة العربية من الأمم التي تحتفظ بتراث ضخم من المراثي، والرثاء ترنيمة الحزن الصادق التي يرددها الأسى على أوتار القلوب الحزينة، وهو من أقدم فنون الشعر وأصدقها؛ لأنه مرتبط بحقيقة ماثلة وبديهية مؤكدة، وهو الموت والتفجع على الميت، وإبداء الحزن على فقده، وما دام هناك موت ورحيل، ووداع ليس بعده لقاء فستكون قصيدة الرثاء غرضاً بارزاً من أغراض الشعر (شوقي ضيف: ١٩٧٨:٥)، لهذا كان لأسلافنا تعريفٌ له، ومن جانبي فسوف أقف عند تعريفه اللغوي والاصطلاحي.

الرثاء في اللغة يعني البكاء على الميت، ومدحه بعد موته، وإذا عدنا الى ثروتنا اللغوية فإننا سنجد ثلاثة أصول لكلمة الرثاءً حددها علماء اللغة في معاجمهم، وهذه الأصول هي:

١- **الأصل الأول:** رثأ مهموزة الألف، وتدل على معنى الخلط والاختلاط نقول: أرثأ اللبن: خَثُرَ، وفي المثل: الرثيته تفتا الغضب والرثينة: اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر، ومنها ارتثا عليهم أمرهم إذا اختلط (الزمخشري: ١٩٧٩: ١٥٤).

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

٢- **الأصل الثاني** فهو: رثى بالألف اللينة ومضارعه يرثي والمرثية بالفتح وجع في الركبتين والمفاصل والأصل يدل على رقة واشفاق، يقال رثيت لفلان: رققت، ومنه قولهم: رثى الميت بشعر، ورثت المرأة بعلها ترثيه رثاية (ابن منظور: ٢٠٠٠: ٣٠٩/١٤)

٣- **الأصل الثالث** فهو: رثٌّ بالتضعيف، وهو أصلٌ واحد يدل على أخلاق وسقوط. يقال: ثوب رث ورجل رث الهيئة (ابن فارس:١٩٧٩: ٣٨٤/٢)، والمرتث: الصريعُ الذي يثخن في الحرب ويحمل حياً ثم يموت (ابن منظور: ٢٠٠٠: ١٥١/٢).

أما الرثاء في الاصطلاح فيعني: بكاء الميت وذكر مناقبه شعراً أو نثراً، والمرثية والرثاء: بكاء الميت وتعداد محاسنه، فيقال: رثى فلانُ فلاناً يرثيه رثياً إذا بكاه بعد موته، ورثوت الميت إذا بكيته وعددت محاسنه(ابن منظور : ٢٠٠٠: ٣٠٩/١٤) ، والترثي هو ندب الميت، ورثيت له: رحمته ويقال رثى له: أي رق له، فالمرثية أذن كما يقول الأستاذ مقبول علي بشير النعمة في كتابه المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام هي: القصيدة أو القطعة الشعرية أو الإرث الأدبي الذي تتخذ الرثاء موضوعاً لها، أما الرثاء فهو الإشفاق والحزن، وهو أمر معنوي (مقبول علي بشير: ١٩٩٧: ١٥).

ولقد تداخل المعنى الاصطلاحي بالمعنى اللغوي للرثاء فأصبح المعنى يمثل مدلولاً واحداً عند بعض النقاد وهو:

١- **الرَّحمة والتَّوجع والرِّقة.**

٢- **بكاء الميَّت ومدحه.**

وقد أشارت بشرى الخطيب إلى ذلك بقولها: إنَّ الرثاء يعني بكاء الميت وتعدد محاسنه بالشعر والنثر (الخطيب بشرى: ١٩٧٧: ٢٩) ، بناءً على ما تقدم ذكره هو: قول الشعر في المرثي والبكاء عليه وندبه، وينقسم الرثاء إلى ثلاثة أقسام تعارف عليها العلماء وهي: الندب والتأبين والعزاء (شوقي ضيف:١٩٥٥: ٥)، إذ جعل الندب محصوراً في الأهل والأقارب والنفس، وفي الرسول (صلى الله عليه آله وسلم) وآل بيته الكرام، وجعل التأبين للمواقف الرسمية، والعزاء للنظرة الفلسفية لحقيقة الموت والحياة.

التعريف بحياة ابن أبي الخصال:

هو أبو عبد الله محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن أبي الخصال خلصة الغافقي، ولد سنة (٤٦٥ هـ)، في قرية فرغليط من جهة شقورة، كان أشهر الكتاب في زمانه، وعده الأندلسيون رئيس

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

كتاب الأندلس وحفظوا رسائله حفظاً، وكان من أهل المعارف الجمة، والإتقان لصناعة الحديث والمعرفة برجاله، والتقييد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية واللغة والأدب، والنسب والتاريخ، متقدماً في ذلك كله، وأسرته أسرة موصولة بالعلم، أصيلة فيه، وكان صاحب قلم متدفق سيال (الداية محمد :١٩٨٨: ١٠)

وصف لسان الدين بن الخطيب كتابته قائلاً: "وكتابة ذي الوزارتين، رحمه الله، كالشمس شهرة والبحر والقطر كثرة " (الخطيب لسان الدين: ٢٠٠٣: ٢٨٢)، له تاريخ حافل في الخدمة السلطانية، والحصول على الجاه والمكانة، لم يلتحق بديوان أحد من أمراء الطوائف، وأول المرابطين ، التحق بديوانه محمد بن الحاج القائد المرابطي والي يوسف بن تاشفين على قرطبة وحتى استدعاه علي بن يوسف بن تاشفين للعمل في ديوانه وحظي عنده بمنزلة أثيرة، ترقى ابن أبي الخصال في الخدمة السلطانية فكتب لعلي بن يوسف بن تاشفين وهو والٍ على غرناطة ، وانتقل مع بني الحاج إلى فاس، وانتقل معهم على الثغر الشرقي سرقسطة، كانت دائرة أصحابه وعارفيه واسعة من رجال العصر الكبار. (ينظر بن ناجي محمد لخضر: ٢٠١٥: ٤٦)

آثاره الأدبية:

من آثاره رسائله مع أبي بكر بن العربي وأبي إسحاق بن خفاجة، وأبي بكر بن رحيم، وأبي بكر بن عبد العزيز وغيرهم، تفقه في الأدب حتى قيل: لم ينطلق اسم كاتب بالأندلس على مثل ابن أبي الخصال و له تصانيف عديدة منها " مجموعة ترسُّله وشعره " في خمس مجلدات، و " ضل الغمامة وطوق الحمامة" في مناقب بعض الصحابة و " منهاج المناقب " و " مناقب العشرة وعمّي رسول الله "، كان متفنناً بالعلوم مهتماً بها ومتقدماً فيها، صاحب لغة وتاريخ وحديث وخبر وسير، ومعرفة برجال الحديث مضطلع بها، ومعرفة بوقائع العرب وأيام الناس، وبالنثر والنظم، وكان جزل القول، عذب اللفظ حلو الكلام، عذب الفكاهة فصيح اللسان، بارع الخط حسنه ومتقنه) (ينظر الخطيب لسان الدين: ٢٠٠٣: ٢٨٨)، وله مؤلفات مصنفة ورسائل مطولة منها ما ذكره المقري في نفخ الطيب وهو (سراج الأدب) وله رسالة سماها (لمحة البارق وقذف المارق) ردّ فيها على رسالة ابن غرسه التي فضل فيها العجم على العرب، وله ايضاً كتاب المنهج في معارضة المبهج، قُتل في سنة (٥٤٠ هـ) في الفتنه التي حدثت في قرطبة بين ابن حمدين وابن غانية، لُقيَ مقتولاً قرب باب داره، وقد سُلب ما كان عليه، بعد نهب داره، قتله بربر المصامدة رجال أهل دولة اللثام لحُسن ملبسه، ولم يعرفوه، وقتلوا معه ابن أخته عبد الله بن عبد العزيز بن سعود (ينظر الداية محمد: ١٩٨٨: ١٢).

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

المبحث الثاني: رثاء الحسين (عليه السلام) عند أبي الخصال :

إنَّ مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه يمثل الفاجعة الكبرى التي أصابت الإسلام والمسلمين، وقد بقيت الأجيال الإسلامية تَعُدُّ مقتل الحسين (عليه السلام) من المصائب الكبرى وتحيي ذكراه بالحزن والعزاء، وقد أخذ الشعراء دورهم الفاعل في تخليد هذه الذكرى الأليمة التي اتخذها المسلمون وسيلة لتحفيز وإثارة العواطف ضد قاتلي أهل البيت (عليهم السلام)، ولم يتخلف شعراء الأندلس وشيعتهم عن هذا الموج العارم فأحيوا الذكرى ووظفوها أحسن توظيف ولم يكد يمر عصر من عصور الأدب الأندلسي إلا وكانت شهادة الحسين (عليه السلام) في العاشر من محرم يوم عزاء عام تقام فيه الاحتفالات التأبينية تخليداً لهذه الذكرى الأليمة، وبعد قراءتنا لدواوين الشعراء الأندلسيين الذين رصدوا هذه الفاجعة ومن خلال اطلاعنا على أشعارهم استوقفتنا ظاهرة واضحة في أشعارهم وهي الرثاء والبكاء والندب والتي من خلالها نجد جملة من الأبعاد في هذه الواقعة والتي تتمثل بما يأتي).(الركابي أناهيد : ٢٠١٧: ١٣-١٣٢):

١- البعد الاجتماعي.

٢- البعد النفسي.

٣- البعد الوجودي.

وهو أول من ابتدأ النظم في هذا الغرض في الأندلس، ومما يؤسف عليه أنَّ معظم التراث الشعري لهذا الشاعر الحسيني قد ضاع إلا بعض الأبيات، وقصيدتين على الرغم من غزارة نتاجهِ، إذ يذكر الدكتور عبد السلام الهراس، أنه عثر عليهما بعد أن كانتا مفقودتين. (ينظر الهراس عبد السلام: ١٩٧٩: ٩٢)

والقصيدتان مستقلتان في تصوير تلك المأساة وذكر مأساةِ قتل الحسين (عليه السلام)، بإحساسٍ يتملكه الصدق والشعور بالحزن، إذ يقول في إحداهما من البسيط: (الهراس:١٩٧٩: ٩٢)

عَرِجْ على الطفِّ أن فاتتك مكرمةٌ ... واذرِ الدموعَ بها سحّا وهتانا
وابكِ الحسينَ ومن وافى منيتَه ... في كربلاءٍ مضوا مثنى ووحدانا
يا ليت شعري إني جريحُ الطفِ دونهم ... أُهينُ نفسًا تفيدُ العزَّ من هانا

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

في تلك الأبيات يبكي أبو الخصال الشقوري شهيد الطف الإمام الحسين (عليه السلام) فيقول عرج على الطف، فهنا يذكر أبو الخصال التسمية الأخرى لكربلاء وهي (الطف) وبعدها يبكي الإمام الحسين

(عليه السلام) بكاءً شديدًا مع أهل بيته وأقاربه الذين قُتلوا ظلماً وعدوانًا من قبل يزيد بن أبي سفيان يرى الشاعر الشقوري أنَّ البكاء على الحسين هو جزء من المشاركة في تلك المأساة وذرف الدموع أفضى به إلى أن يتعامل مع اللغة بشكل أمدَّ النص بخصوصية قد كشفت عمق المأساة، وأمدتها الصيغ الفعلية استمرارية، ولتعبر في الوقت نفسه عن المعنى تعبيراً حسياً؛ لأنها تحمل صورةً تدركها الحواس.(رفاه علي نعمة:٢٠١٠: ٣٥)، فالأفعال: (عرجُ، إذر، ابكِ) وقد جعلت المعنى ذا طبيعة مستمرة؛ لأن المتلقي حينما يدرك هذا المنوال الذي نتجت عنه تلك الصيغ يرجع إلى صورة ذهنية تعزز الفعل الشعري الذي يمكن أن يكشف الموقف الانفعالي بدقة عالية وبعدها يصل إلى بيت يذكرنا بالقول الذي نذكره في آداب زيارة الإمام الحسين(عليه السلام)**(يا ليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً)**،لكنه يعبر ذلك بصيغة مشابهة بقوله(يا ليت شعري إني جريح ألطف...) يمكن أن نستوضحه من خلال الصيغ البلاغية التي بدأ استعمالها على نحو قليل في النص، اذ استعمل الشاعر كلاً من الترادف والطباق وعلى النحو الآتي:

الترادف:(سحّاً وتهنانا) والطباق: (مثنى ووحدانا) و(العزّ وهانا) ليبرر الدلائل المعنوية المتناقضة في هذا النص، ويعزز الوظيفة الايقاعيّة كما في حالة الترادف الذي تجيء فيه الكلمة مرادفة للأخرى في بيت

شعر أو كلام ومرادفتها لها أنَّ تشبهها في معناها، ونقرأ له قوله من (الطويل) :(الهراس:١٩٧٩: ٩٥)

عينٌ بَكتْ أبناءَ فاطـــمةٍ تَرى البكاءَ لهم تقوى وإيمــانا
أليتُ بالله لا أنسى مصائبهم حتى أُضمن أطباقاً أو كـفانا

أراد الشاعر أن يكفر عن الذنوب والثواب ثم التقوى والإيمان، راح يدعو للعيون التي تبكي (أبناء فاطمة)؛ لأنه يرى أن فعل البكاء عليهم من مقومات التقوى والايمان، ولأن الأوزار ترفع بحبهم، وأن محمداً (صلى الله عليه وآله) قد أعطى بحبهم الفوز والرضوان، وكأن هذه العناية بالتنوع في إظهار جوانب فضائلهم، قد منح فرصة التعبير عن الانفعال مداها؛ لأن مصاب الإمام الحسين (عليه

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

السلام) له حرارة في قلوب المؤمنين وألم مصابه لا يُنسى وهذا الأمر باقٍ طويلاً فقد جاء على لسان السيدة زينب

(عليها السلام) في خطبتها في الكوفة " **والله لن تمحو ذكرنا ولن تميت وحينا** " فهذا ابن الخصال يقول " **أليت بالله لا أنسى مصائبهم** " ويكمل إلى أن يكفن ويدفن وهذه صورة غاية في التعبير عن المأساة وذكر الشاعر الشقوري قصيدة رائعة واضحة المعاني واقعة الدلالات فهو لم يرد بيتاً إلا إذا كان بليغاً في معناه واضحًا في العبارة، فالشاعر وفق في اختيار القافية " إيمانا، أكفانا" حيث يكون فيها امتداد صوتي بالألف والنون؛ لتعزيز نبرة الحزن والندب. ويوضح الشاعر الحال الذي كان عليه الإمام الحسين (عليه السلام) في هذه الواقعة وحال أهل بيته فنستطيع أن نقول إن ما جرى للإمام الحسين (عليه السلام) قد صوره ابن أبي الخصال في أبياته حيثُ نقرأ قوله من الخفيف: (الهراس: ١٩٧٩: ٩٣)

حَرَّموا ماءَ الفُرات ولولا جَدهُ ما سقوا ماء الفُرات

فهو يصف عطش الإمام الحسين (عليه السلام) والنهر المعنون (نهر الفرات) عادة يرمز للخير والخصب، ولكن الشاعر استخدمه هنا للخذلان والحرمان، وتكراره يُؤكد على مركزية المأساة، واستعان الشاعر بلفظة (حرّموا) لتدل على قسوة الفعل الذي ارتكبوه، ويوضح أيضاً أن ما جرى من قتل الحسين (عليه السلام)، ليس عدالة وإنما هو حقد قديم بين طرفين وهم بنو هاشم وبنو عبد شمس وكان ضحية هذا الحقد الحسين (عليه السلام)، وأهل بيته أجمعين، وتُعد القصيدتان تجاوباً صادقاً مع مأساة كربلاء؛ فهو يندد بقاتليه ويتهمهم في إيمانهم وعقيدتهم، وفي الحديث عن تأثره كان بأبيات كثيرة حيثُ نقرأ قوله من(الطويل): (الهراس: ١٩٧٩: ٩٤).

أتنتهب الأيامُ فلذةَ أحمدٍ وأفلاذ من عاداهم تتوددوا

إنَّ الشاعر قدّم (مأساة كربلاء) بصور مختلفة، ويقدمها في صور شتى ويكرر أفكاره خلال قصائده حيث يبدأ بأسلوب إنشائي (الاستفهام الإنكاري)، ويعبر عن رفضه لواقع اجتماعي منحرف، يُهان فيه قرابة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، ويُكرم فيه خصومهم، واستخدم للتعبير عن ذلك لفظة(فلذة) التي تعني قطعة من الكبد، وهي كناية عن الأبناء، أو الأحبة القريبين جداً من القلب.

كما يهمه أن ينقل إلى الخارج شعوره بالمأساة وإحساسه نحو الحسين وال البيت(عليهم السلام)، واحترامه لهم فهو يتحدث عن حادثة بعيده عنه لا تزال تنزف دماً، ودموعاً وآهات فإنه يتحامل على قاتليهم ويتهمهم بالردة والحقد والتنكر، إنَّ أبي الخصال أول شاعر أندلسي فيما نعلم يعد قتل الحسين

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

جاهلية: ذلك القتل الذي كان بدافع حقد قديم يضمره بنو عبد شمس لبني هاشم قبل الإسلام كما أبرزته الأحداث؛ فإنه يؤكد كفر القتلة نثراً في بعض رسائله أيضاً بقوله" وما بلغها إلا كل خارج عن الإسلام ومارق كلا إنَّ ملائكة العذاب لتدخل عليهم بالمقالع من كل باب فأي وسيلة بينهم وبين شفاعة جده يوم الحساب" ويقول من القصيدةِ نفسها من الطويل (الهراس:١٩٧٩ : ٩٤) .

وَيا كَبِدِي إن انتِ لم تتصدعَ	فأنت مِنْ الصفوانِ أقسى واجلدُ
ويا عبرتي إن لم تفيضي عليهم	فنفسيَ أسخى بالحياةِ وأجودُ
أتنتهبُ الايامُ فلْذةَ احمدٍ	وأفلاذُ من عاداهم تتورّدُ
أيضحى ويظمأ احمدٌ وبناتهُ	وبنتُ زيادٍ وردُها لا يصردُ
وما الدين إلاّ دينُ جدِّهم الذي	بهِ أصدروا في الصالحين وأوردوا
ينام النصارى واليهودُ بأمنهم	ونومهم بالخوفِ نومٌ مشرّدُ
وما هي إلاّ ردةٌ جاهليّةٌ	وحقدٌ قديمٌ بالحديثِ يُؤكَدُ

إنَّ الشاعر يتقطّع ألماً على ما ألمَّ بالحسين وأهل بيتهِ (عليه السلام) وباستغراقٍ متكامل مع تلك المأساة، يرى أن كَبِدَهُ إن لم تتصدّع من الحزن فهي أقسى من الحجرِ؛ لأن من الحجارة ما يسقط من خشية الله ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء، وأنَّ عَبرتهُ إن لم تفضْ، فنفسه أسخى بمفارقةِ الحياة وكأنهّ باستعمالهِ صيغة النداء (يا) لكبدهِ وعبرتهِ يعاتبها لعدمِ بذلهما ما يمكن أن يجعل حزنه يبلغ غايته؛ لأنَّ فلذة كبد رسول الله (صلى الله عليه آله) قد انتهبتها يدُ الغدرِ التي كنّى عنها بالأيام، وأفلاذ أعدائهم (تتورد)، إذ استعمل صيغة الفعل المضارع للدلالة على ديمومة الدعةِ والرخاء، فوضع الحالتين على نحو يجعل من إحداهما صورة مناقضة للأخرى محققاً صيغة من الطباق المجازي، فانتهاب الأيام لفلذةِ أحمد تعني الموت والحرمان والتشريد، وأفلاذهم تتورد تعني، الحياة، والدعة، وهذا ما يمكن أن يتضح من خلال السياق، ويؤكّد هذهِ الرؤية في البيت الثالث المبدوء بالاستفهام (أتنتهبُ)، إذ إنَّ الحسين وآلة عطشى وآل زيادٍ في غمرةِ الارتواء، وانسياقاً مع هذا فقد

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

جاء السياق في الأبياتِ الأخرى متضامناً مع ما بدأ بهِ الشاعر إذ جمع حالاتٍ متماثلةً ليقرنها بالحالةِ التي وصل إليها آلُ الرسول (عليهم السلام) وكأنه يعجب من هؤلاء، المحسوبين على الإسلام، فالدين الذي يؤمنون بهِ، وأحسبهم ليسوا كذلك، هو

الدين الذي نزل على الرسول (صلى الله عليه وآلة) والرسول جدّ الحسينِ، وهم قد اكتسبوا رفعةَ الشأن بهِ فكيف تسنّى لهم فعل ذلك، ويرى أن اليهود والنصارى ناموا بأمنهم؛ لأنهم ضمنوا حقهم، فكيف إذن يلقى آل الرسولِ من ويلاتِ المارقين عن الدين، فعدّ ذلك الأمر ردّةً جاهليّة وحقداً قديماً.

لغة النصّ بوجهِ عام جمعت قرارةَ حزنِ الشاعر، فَتَصَدُّعُ الكبدِ، وفيض العبرةِ والسخاء بالحياةِ، قد تخصّصت بالتعبير عن الحزن والرثاء، وهناك بعض الألفاظ، يقترن معناها بالنسق القرآني مثل: (محمدّ، والقيامة)، (والكتاب، وأحمد)، (والصالحين، والنصارى، واليهود)؛ لاشتراك تلك الألفاظ في منح النصّ دلالةً عميقةً، وكأنها تصل الحسين وآلة، ببعدِ ديني يبدأ بالرسولِ والكتاب وينتهي بالله تعالى. (عيسى سلمان: ٢٠٠٧: ١١١)، وقد ظهرت في النصِّ مجموعة من الظواهر الدلالية كالترادف مثل

(أقسى – اجلدُ) و (أسخى – أجودُ) و (يضحى – يظمأ)، ومجال حصول الترادف إنما يكون من أجل تقويةِ المعنى من خلال التوسع الأسلوبي بتكرار صفات متشابهة.

أما موسيقى النصّ فقد توافر النصّ على العموم على إيقاع منتظمٍ جاء من خلال استعمال الشاعر للبحر الطويل الذي جاءت فيهِ العروض والضرب مقبوضين فشكلّ ذلك الإيقاع مصدرَ موسيقى النصّ الغالب مع الأخذ بنظر الاعتبار العاطفة التي يتحرك على أساسها المستوى الإيقاعي علّواً وهبوطاً من خلال الأداء المتمثل في الصيغ التركيبيّة والمعنوية التي نوهنا عنها (عيسى سلمان: ٢٠٠٧: ١١٢).

ونقرأ له مقطع أخر من قصيدته التائية من الخفيف: (الهراس: ١٩٧٩: ٩٤)

لهف نفسي على الحسينِ ومن لي أن يقضي حقوقه عبراتي

يا جفوني برئت منك إذا لم تغرقي في بحورها نظراتي

لهف نفسي على قتيل يعزى عنه خير الآباء والأمهاتِ

وثووا في قصورهِ، واطمأنوا وبنات الرسولِ في الفلواتِ

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

فاتني نصُركم بنصلي فنصري بفؤادٍ مجددُ الزفراتِ

وقوافٍ مرسومةٍ بدموعٍ قدحَتْ في توقدِ الجمراتِ

في تلك الأبيات لم يزل الشاعر يبكي الحسين (عليه السلام)؛ لكي تسكن لوعته على ما حدث لابن بنتِ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهو يبرأ من جفونهِ إذا لم تغرق في بحور أدمعها نظراته؛ لأنه يرى أنهّ لا معنى للحياةِ ولا طيبَ للعيش بعد قتيل الطف (وأيّ قتيل!) الذي حرمه الأعادي ماء الفرات، فكانت تلك العصابة الباغية، قد فعلت فعلتها وسكنت مطمئنة في منازل الدعة، وآل الحسين (عليهم السلام) قد سيقوا أُسارى إلى يزيد وعصابته، يقطعون الفلوات سيراً على الأقدام (ينظر عيسى سلمان: ٢٠٠٧: ١١٢)، وقد وظف الشاعر حزنه أروع توظيف، فتكرار عبارة " لهف نفسي " يعطي النص توازناً صوتياً يعزز البعد الشعوري ، وكذلك استخدامه الضمير" لي , منك, نفسي" يؤكد الطابع الذاتي والانفعالي للنص فهو يأسى لفوتهِ نصر الحسين وآل بيتهِ بسيفهِ، لكنه يؤكد أنه منتصر لهم بقلبهِ المواظب على الحزن وبقوافيهِ المخطوطة بدموعهِ المتلظيةِ؛ لأن الدموع إذا لم تكن للحسين وآلِهِ، فمن يستحقها بعدهم، إنّ اتجاه الشاعر إلى اللغة المباشرة إنّما كان يستدعيهِ التعبير عن تلك العواطف التي تنتابه إلا أنه ينحو أحياناً منحىً تصويرياً انسياقاً مع الموقف الانفعالي الذي يؤديهِ الشاعر، وإن كانت الصورة التي يأتي بها تقريرية نحو قوله (ثووا في قصرهِ) و (بنات الرسولِ في الفلوات) و(قوافٍ مرسومة بدموع)، لارتكازها على إبراز الحقيقةِ من دون تجاوز يجعلها مبالغاً فيها(ينظر عيسى سلمان: ٢٠٠٧: ١١٢) ، ويمكن أن يتضح لنا أن النصَّ على نحوٍ عامٍ يتسم بالصدقِ الوجداني الذي نستشعره من خلال هذا الحزنِ الوالِهِ الذي يسيطر على جوِّ النصِّ الذي احتفل ببكائيّة غير مبالغٍ فيها، وقد اشتملت القصيدة على قيم فكرية وهي:

١- تذكر المأسي والبكاء عليها

٢- استمرارية الحزن وعدم نسيانه

٣- تمنى المشاركة في تلك الحادثة

٤- التزام مودّة أهل البيت والتمسك بهم قربة إلى الله

وهذه القيم الفكرية قد ائتزرت بالقيم العاطفية لتعطي النصَّ دفقاً من الأحاسيس والمشاعر التي تتعامل

JOBS مجلة العلوم الأساسية Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

مع الأفكار في ضوء علاقة اقترانيّة، تعكس جوانب الإحساس التي يؤديها الشاعر بما يلزم النصّ ويمنحه قيمة فنية تتناسب مع العوامل النفسيّة التي تتراوح قوةً وضعفاً مع الدفع العاطفي الذي يبثه الشاعر في نصّه، فالحزن عاطفه يستنطقها الشاعر من خلال عمليتي (التذكر – البكاء)، حتى إنَّ العاطفة قد سيطرت على النص في كلّ أحوالهِ ليحقق المعادل الموضوعي المتمثل في زيادة الحزن والبكاء، وإدامتهما حتى الموت لكيلا تفوته مكرمة المشاركة في تلك الواقعة.

الخاتمة:

بعد هذا التطواف في قصيدتي ابن أبي الخصال، توصلت إلى مجموعة من النتائج، يمكن أن أُشير إلى أهمها:

١– ينقسم الرثاء إلى ثلاثة أقسام تعارف عليها العلماء وهي: الندب والتأبين والعزاء، إذ جعل الندب محصوراً في الأهل والأقارب والنفس، وفي الرسول (صلى الله عليه آله وسلم) وآل بيته الكرام، وجعل التأبين للمواقف الرسمية، والعزاء للنظرة الفلسفية لحقيقة الموت والحياة.

٢– انطوى رثاء الشاعر للإمام الحسين على قيم فكرية عميقة هي: تذكر المآسي والبكاء عليها واستمرارية الحزن وعدم نسيانه، تمنى المشاركة في حادثة الطف، التزام مودّة أهل البيت والتمسك بهم قربة إلى الله، وهذه القيم الفكرية قد ائتزرت بالقيم العاطفية لتعطي النصَّ دفقاً من الأحاسيس والمشاعر.

٣– من خلال تحليل قصيدتي ابن أبي الخصال توصلنا إلى أنَّ الشاعر أتكأ على أسلوب الترادف والطباق، في وصف تلك المأساة وما جرى على الحسين (عليه السلام) وبنات الرسالة، إنما يكون من أجل تقويةِ المعنى.

٥– أما موسيقى النصّ فتكمن في توافر النص عموماً على إيقاع منتظمٍ جاء من خلال استعمال الشاعر للبحر الطويل الذي جاءت فيهِ العروض والضرب مقبوضين فشكلّ ذلك الإيقاع مصدر موسيقى النصّ الغالب مع الأخذ بنظر الاعتبار العاطفة التي يتحرك على أساسها المستوى الإيقاعي علّواً وهبوطاً من خلال الأداء المتمثل في الصيغ التركيبيّة والمعنوية التي نوهنا عنها.

المصادر

١. ابن فارس أحمد، معجم مقايس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر i. ١٩٧٩

٢. أبو الخصال عبد الله محمد بن مسعود، رسائل ابن أبي الخصال، تحقيق: د. محمد رضوان الداية

٣. دار الفكر، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٨.

JOBS
مجلة العلوم الأساسية
Journal of Basic Science
Print -ISSN 2306-5249
Online-ISSN 2791-3279
العدد التاسع والعشرون
٢٠٢٥م /١٤٤٧هـ

٤. ٣أبو الفضل جمال الدين مكرم ابن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، للعلامة دار صادر، بيروت، لبنان، د. ط، د.ت، مادة رث ١٩٧٨

٥. أحمد، مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د. ط،

٦. الجبوري، يحيى، الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، منشورات جامعة فاريونس بنغازي، ط٦، ١٩٩٣.

٧. الخطيب، بشرى محمد علي، الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الاسلام، مديرية مطبعة الإدارة، بغداد

i. ١٩٧٧

٨. الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، دار الكتب العلمية

a. ٢٠٠٣

٩. رفاه، علي نعمة، لغة شعر ديوان الحماسة (باب المراثي)، رسالة ماجستير، جامعة بابل، كلية

١٠. التربية، ٢٠١٠

١١. الركابي، أناهيد عبد الأمير، السيميائية اللونية للمراثي الحسينية في الأشعار الأندلسية، بحث منشور في جامعة بغداد، كلية التربية، مجلة الباحث الاعلامي، العدد ٣٣-٣٤، ٢٠١٧.

١٢. الزمخشري، جار الله محمود، أساس البلاغة، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت

i. ١٩٧٩

١٢. سراج الدين، محمد، الرثاء في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، د. ط.

١٣. شوقي، ضيف، الرثاء سلسة فنون الادب العربي، دار المعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٥٥

١٤. عيسى، سلمان درويش، التشيع في الاندلس، جامعة بابل كلية التربية، اطروحة دكتوراه فلسفه سنة

a. ٢٠٠٧ م.

١٥. محمد، لخضر، فن الرسالة عند أبي عبد الله بن أبي الخصال، رسالة ماجستير، الجزائر، ٢٠١٥

١٦. النعمة، مقبول علي بشير، المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧

١٧. الهراس، عبد السلام، مأساة الحسين في الشعر الأندلسي، مجلة المناهل، العدد ١٤، ١٩٧٩

References:

18. Ibn Faris Ahmed, Dictionary of Language Standards, investigated by

19. Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr for printing and publishing, 1979.

20. Abi Al-Khasal - Abdullah bin Muhammad- Letters of Ibn Abi Al-Khassal-

21. investigated by: Dr. Muhammad Radwan Al-Daya Dar Al-Fikr, Damascus,

22. Syria, 1st Edition, 1988

23. Abi Al-Fadl Jamal Al-Din bin Makram Ibn Manzoor Al-Afriqi Al-Masri,

24. Lisan Al-Arab, by Dar Sader, Beirut, Lebanon, d. I, D.T., shabby material

25. Ahmed Matloob, Dictionary of rhetorical terms and their development, Iraqi
26. Scientific,1978
27. Al-Jubouri Yahya, Pre-Islamic Poetry: Its Characteristics and Arts, Faryounis
28. University Publications, Benghazi, 6th Edition, 1993
29. Al-Khatib Bushra Muhammad Ali, Lamentation in Pre-Islamic Poetry and
30. Early Islam, Directorate of Administration Press, Baghdad,1977-1978
31. Al-Khatib Lisan al-Din, briefing in the news of Granada, Tah: Muhammad
32. Abdullah Anan, Dar al-Kutub al-Ilmiyya 20
33. Rafah Ali Nehmeh, The Language of Poetry of the Diwan of Enthusiasm
34. (Chapter of Lamentations), Master's Thesis, University of Babylon, College
35. Education, 2010
36. Al-Zamakhshari, Jarallah Mahmoud, The Basis of Rhetoric, edited by Abd al-Rahim Mahmoud, Dar al-Maarifa, Beirut 1979
37. Al-Rikabi Anaheed Abdel Amir, The Color Semiotics of the Husseini Lamentations in Andalusian Poems, Published Research at the University of Baghdad, College of Education, Media Researcher Magazine, No. 33-34, 2017.
38. Siraj al-Din Muhammad, Lamentations in Arabic Poetry, Dar Al-Rateb University,
39. Shawky Deif, Lamentations Series of Arabic Literature Arts, Dar Al-Maaref, Cairo, 4th Edition, 1955
40. Issa Salman Darwish, Shiism in Andalusia, University of Babylon, Faculty of Education, PhD thesis in philosophy, year 2007.
41. Muhammad Lakhdar, The Art of the Message according to Abu Abdullah bin Abi Al-Khasal , Master's Thesis, Algeria,2015
42. Al-Naama Maqbool Ali Bashir, Poetic Lamentations in the Era of Early Islam, Dar Sader, Beirut, 1997
43. Al-Haras Abdel Salam, The Tragedy of Al-Hussein in Andalusian Poetry, Al-Manahil Magazine, No. 14,